

التسهيل لعلوم التنزيل

@ 227 أنهم أعلى من سائر الناس فلذلك جاء به بعد الرب وأما الإله فهو أعلى من الملك ولذلك لا يدعى الملوك أنهم الهة وإنما الإله واحد لا شريك له ولا نظير فلذلك ختم به فإن قيل لما أظهر المضاف إليه وهو الناس في المرة الثانية والثالثة فهلا أضمره في المرتين لتقديم ذكره في قوله برب الناس أو هلا اكتفى بإظهاره في المرة الثانية فالجواب أنه لما كان عطف بيان حسن فيه البيان وهو الإظهار دون الإضمار وقصد أيضا الإعتناء بالمكرر ذكره كقول الشاعر .

(لا أرى لموت يسبق الموت شيء % يغص الموت ذا الغني والفقير) ! 2 2 ! هو مشتق من الوسوسة وهي الكلام الخفي فيحتمل أن يكون الوسواس بمعنى الوسوسة فكأنه اسم فاعل وهذا يظهر في قول ابن عطية والوسواس من أسماء الشيطان ويحتمل أن يكون مصدرا وصف به الوسوسة على وجه المبالغة كعدل وصوم أو على حذف مضاف تقديره ذي الوسواس وقال الزمخشري إنما المصدر وسواس بالكفر ! 2 2 ! معناه الراجع على عقبه المستمر أحيانا وذلك متمكن في الشيطان فإنه يوسوس فإذا ذكر العبداء وتعود به منه تباعد عنه ثم رجع إليه عند الغفلة عن الذكر وهو يخنس في تباعده ثم في رجوعه بعد ذلك ! 2 2 ! وسوسة الشيطان في صدر الإنسان بأنواع كثيرة منها إفساد الإيمان والتشكيك في العقائد فإن لم يقدر على ذلك أمره بالمعاصي فإن لم يقدر على ذلك ثبطه عن الطاعات فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء في الطاعات ليحبطها فإن سلم من ذلك أدخل عليه العجب بنفسه واستكثار عمله ومن ذلك أنه يوقد في القلب نار الحسد والحقد والغضب حتى يقود الإنسان إلى شر الأعمال وأقبح الأحوال وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء واحدها الإكثار من ذكر الله وثانيها الإكثار من الإستعاذة بالله منه ومن أنفع شيء في ذلك قراءة هذه السورة وثالثها مخالفته والعزم على عصيانه فإن قيل لما قال في صدور الناس ولم يقل في قلوب الناس فالجواب أن ذلك إشارة إلى عدم تمكن الوسوسة وأنها غير حالة في القلب بل هي محومة في الصدر حول القلب ^ من الجنة والناس ^ هذا بيان لجنس الوسواس وإنه يكون من الجن ومن الناس ثم إن الوسوسة من الإنس يحتمل أن يريد من يوسوس بخدعه وأقواله الخبيثة فإنه شيطان كما قال تعالى ! 2 2 ! أو يريد به نفس الإنسان إذ تأمره بالسوء فإنها أمانة بالسوء والأول أظهر وقيل من الناس معطوف على الوسواس كأنه قال أعوذ من شر الوسواس من الجنة ومن شر الناس وليس الناس على هذا ممن يوسوس والأول أظهر وأشهر فإن قيل لم ختم القرآن بالمعوذتين وما الحكمة في ذلك فالجواب من ثلاثة أوجه الأول قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير لم كان القرآن أعظم النعم على

عباده والنعم مظنة الحسد فختم بما يطفء الحسد من الإستعادة باﻻﻟﺜﺎﻧﻲ ﻳﻄﻬﺮ ﻟﻲ ﺃﻥ
المعوذتين ختم بهما لأن رسول ﺍﻟﻠﻪ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﻗﺎﻝ ﻓﻴﻬﻤﺎ ﺃﻧﺰﻟﺖ ﻋﻠﻰ ﺁﻳﺎﺕ ﻟﻢ ﻳﺮ ﻣﺜﻠﻬﻦ
ﻗﻂ ﻛﻤﺎ ﻗﺎﻝ ﻓﻲ ﻓﺎﺗﺤﺔ ﻛﺘﺎﺏ ﻟﻢ ﻳﻨﺰﻝ ﻓﻲ ﺗﻮﺭﺍﺓ ﻭﻻ ﻓﻲ ﺍﻟﻴﻨﺠﻴﻞ ﻭﻻ ﻓﻲ ﺍﻟﻔﺮﻗﺎﻥ ﻣﺜﻠﻬﺎ
ﻓﺎﻓﺘﺘﺢ ﺍﻟﻘﺮﺁﻥ ﺑﺴﻮﺭﺓ ﻟﻢ ﻳﻨﺰﻝ ﻣﺜﻠﻬﺎ ﻭﺍﺧﺘﻢ ﺑﺴﻮﺭﺗﻴﻦ ﻟﻢ ﻳﺮ ﻣﺜﻠﻬﻤﺎ ﻟﻴﺠﻤﻊ ﺣﺴﻦ ﺍﻟﻴﻔﺘﺘﺎﺥ
ﻭﺍﻟﻴﺨﺘﺎﻡ ﺃﻻ ﺗﺮﻯ ﺃﻥ ﺍﻟﺨﻄﺐ ﻭﺍﻟﺮﺳﺎﺋﻞ ﻭﺍﻟﻘﺼﺎﺋﺪ ﻭﻏﻴﺮ ﺫﻟﻚ ﻣﻦ ﺃﻧﻮﺍﻉ ﻛﻠﺎﻡ ﻳﻨﺰﺭ ﻓﻴﻬﺎ
ﺇﻟﻰ ﺣﺴﻦ ﺍﻓﺘﺘﺎﺣﻬﺎ ﻭﺍﺧﺘﻤﺎﻣﻬﺎ ﺍﻟﻮﺟﻪ ﺍﻟﺜﺎﻟﺚ ﻳﻄﻬﺮ ﻟﻲ ﺃﻳﺸﺎ ﺃﻧﻪ ﻟﻤﺎ ﺃﻣﺮ ﺍﻟﻘﺎﺭﺭﺓ ﺃﻥ ﻳﻔﺘﺘﺢ
ﻗﺮﺍﺀﺗﻪ ﺑﺎﻟﺘﻌﻮﺫ ﻣﻦ ﺍﻟﺸﻴﻄﺎﻥ ﺍﻟﺮﺟﻴﻢ ﺧﺘﻢ ﺍﻟﻘﺮﺁﻥ ﺑﺎﻟﻤﻌﻮﺫﺗﻴﻦ ﻟﻴﺤﺼﻞ ﺍﻟﺴﺘﻌﺎﺩﺓ ﺑﺎﻻﻟﺜﺎﻧﻲ ﻋﻨﺪ ﺃﻭﻝ
ﺍﻟﻘﺮﺍﺀﺓ ﻭﻋﻦ ﺁﺧﺮ ﻣﺎ ﻳﻘﺮﺃ ﻣﻦ ﺍﻟﻘﺮﺍﺀﺓ ﻓﺘﻜﻮﻥ ﺍﻟﺴﺘﻌﺎﺩﺓ ﻗﺪ ﺍﺷﺘﻤﻠﺖ ﻋﻠﻰ ﻃﺮﻓﻲ ﺍﻟﺒﺘﺪﺍﺀ
ﻭﺍﻟﺌﺘﻬﺎﺀ ﻭﻟﻴﻜﻮﻥ ﺍﻟﻘﺎﺭﺭﺓ ﻣﺤﻔﻮﻇﺎ ﺑﺤﻔﻆ ﺍﻟﻠﻪ ﺍﻟﺬﻯ ﺍﺳﺘﻌﺎﺩ ﺑﻪ ﻣﻦ ﺃﻭﻝ ﺃﻣﺮﻩ ﺇﻟﻰ ﺁﺧﺮﻩ ﻭﺑﺎﻻﻟﺜﺎﻧﻲ
ﺍﻟﺘﻮﻓﻴﻒ ﻻ ﺭﺏ ﻏﻴﺮﻩ